الفصل السابع

تعدد منابع الرؤية :

تحتوى مصر على تراث فنى ضخم يتمثل فى أشكال مرئية للعين هى فى حد ذاتها منبع ومعين وزاد واثراء لرؤية الفنان ، ما دور هذه الأشكال المتنوعة والمتعددة على رؤية الفنان أو كل ما ينتج الفن فى مصر ؟ بمعنى آخر ما مدى تأثير هذه الأشكال المرئية على أطفالنا عندما يمارسون الفن فى نطاق الوقت المسموح لهم فى دروس التربية الفنية ؟ لعلنا قبل أن نجيب عن هذا يجدر بنا أن نستعرض هنا مكانة التربية الفنية بالمنهج العـــام للتعليم · اننا اليوم ومع المفهوم الســـائد فى التربية الفنية من اطـلاق الحرية للطفل والتعبير عن ذاته انما يتيح للطفـــل ان تتعدد منابع رؤيته الأمر الذى لم يكن متوفرا خـــلال أدورا أخـرى سابقة مرت بهـا التربية الفنية · هـذا التعدد فى الرؤية الآن قد أتى بعد مراحل وأدوار تتابعت الواحدة تلو الأخرى · وكأن لكل مرحلة من هذه المراحل تصورها فى نوعية تربية الطفل تلك المراحل والأدوار نشير اليها هنا وباختصار حتى يتسنى لنا حصر منابع الرؤية للطفل فى كل دور من هذه الأدوار ·

أدوار التربية الفنية :

تطورت أدوار التربية الفنية فى مصر خلال المنهج العـــام للتعليم كما يلى :

أولا : ـ التدريب الآلى والنقل من المجسمات · فى هذه المرحلة أو فى هذا الدور كان الرسم يعلم بطريقة النقل من الأمشق وهى عبارة عن

مجموعة من الرسوم التقليدية لبعض النماذج المصنوعة كالقلة والكرسى والمنضدة وكان على التلميذ أن يقلد ما فى المشق · ويقوم بنقله الى كراسة الرسم ، كما كان يوجد أيضا بعض النماذج الزخرفية المستحدثه من الفنون الاسلامية أو الرومانية أو غيرها كان المقصود من التربية الفنية فى هذا الدور تنشيط الملاحظة وتعويد الدقة ومحاكاة النماذج كما كان التفكير فى هذا الدور أيضا متأثرا بالفن كصنعة Craft او عمل يدوى Manual Work كما كان متأثرا بسيطرة المحاكاة والغاء الطفل وتأكيد الرجل (كما ورد فى كتابات حبيب جورجى عميد مفتشى الرسم سابقا) لقد كان الهدف من تعليم الرسم فى هذه الآونه هو تنشيط الملاحظة وتدريب اليد لتتوافق مع العين وعلى هذا الغيت شخصية الطفل الابتكارية فكان على التلاميذ أن يقلدوا وأن يتعلموا ما يقدم لهم وكان التلميذ المتاز هو الذى يستطيع نقل النموذج المقدم اليه نقلا محكما · أما النماذج التى كانت تقدم الى التلاميذ فقد كانت تتدرج من البسيط الى المعقد وغالبا تبدأ برسم النماذج ذات البعدين وعند الاقتراب من السنوات العليا يتعلم التلاميذ كيفية استخدام الظل والنور والبعد الثالث · هذا الاتجاه كان سائدا أيضا فى أوربا وأمريكا فى ذلك الوقت ·

كان المدرس يقوم تلاميذه من خلال نقلهم للنماذج وكلما كان الطفل دقيقا فى نقله بمطابقته للنموذج كان تقييمه بالدرجات أمرا واضحا · فعملية التقويم لم تكن تشكل صعوبة للمدرس فلا يوجد أمام المدرس مشكلات فى تفسير العمل بل يوجد أمامه القالب والمعيار الذى يقيس به أعمال تلاميذه فقدرة التلاميذ البصرية الى جانت مهارتهم اليدوية يشكلان الجزء الأكبر فى عملية التقويم ·

تعد هذه المرحلة امتدادا للتراث الفنى الانسانى من حيث الطريقة فى تناول الفن · فرؤية التلميذ هنا قد تحددت وأصبح منبع رؤيته يرتبط

بما يقدم اليه من نماذج معدة ومقننه من قبل فهو ناقل محترف لما يقـــدم اليه وهـــو فى تقليده ونقله باتقان للنماذج المقـدمه اليه انما يمثل غاية المراد فى أعين المربين آنذاك وبهذا النقل انما يمثل حفاظا للتراث والتقاليد الفنية وهى بدورها الطريق الوحيد الذى يضـــمن له أن يصبح فنانا فى المستقبل قادرا على عمل الرسوم والصور الجميلة ٠

ثانيا : النقل من المجسمات والابتكار :

وفى هذه المرحلة كان المقصود من التربية الفنية تقديم الى الطبيعة والتشجيع على ملاحظتها وتنشيط الخيال ٠ وكان التفكير فى هذه المرحلة متأثرا بالفن كنقل للطبيعة imitation من جهة وحركة خيال imagantion من جهة أخرى وكانت العلاقة بين الفن والطبيعة فى هـــذا الدور علاقة تضاد ٠ فالهدف من الرسم هو رؤية الطبيعة وتقليدها تقليدا فوتغرافيا وعلى العكس من الناحية الأخرى الفن كحركة خيال فى خلق زخرف جمالى ولقد كانت دراسة الطبيعة الصامتة سمة من سمات هـــذه المرحلة وعلى ما يبدو ان هذا الاتجاه قد انحدر من المدارس المتخصصة فى الفن وكان يوضع أمام التلاميذ العديد من النماذج المعـــدة للنقل والمحاكاة فيتعلم التلاميذ كيف يحددون الأبعاد والنسب وكذلك الظل والنور ويقوم المدرس عادة بشرح وجهة نظره على السبورة ثم بعد ذلك يقوم بتصحيح اخطـاء التلاميذ حتى تتطابق أعمالهم والنماذج المطلوبة والمعروضة أمامهم ٠

كان المقصود من التربية الفنية فى هذه المرحلة رؤية الطبيعة وما بها من تكامل فى العناصر والأشياء ٠ وذلك بفحص ما بها من تفاصيل على أن يكون الفحص لها فحصا فوتغرافيا أى لنقل معالمها مطابقة تماما دون أى تدخل من التلميذ ٠

كان التقويم ايضا فى هذه المرحلة يعد مسألة سهلة بالنسبة للمدرس

فهو يقوم من خلال النماذج المعروضة أمام التلاميذ · وكلما كان التلميذ صادقا فى نقله حصل على درجات أعلى ·

ثالثا : تفهم نفسية التلميذ والتمشى معها وفى حدودها :

كان المقصود من التربية الفنية فى هـذه المرحلة التعبير عن النفس Self - Expression وكان التفكير فى هذه المرحلة أيضا متأثرا بالفن كانتاج الطفل البديهى الفطرى وفى هـذا الدور تأكد الطفل والغى الرجل · كان الفن يدرس فى هذه المرحلة على أنه تعبير ذاتى فعلى الطفل أن يعبر عن ذاته بحرية ولقد بدأت هذه المرحلة تحت تأثير فرانز تشزك Frans Cizeck حيث تحولت كلمة رسم ليحل محلها اصطلاح جديد « هو فن الطفل » ·

مشكلات التعبير الحر :

بدأت مع هذه المرحلة تظهر مشكلات بالنسبة لمدرس التربية الفنية من ناحية وللتلميذ من ناحية أخرى من هذه المشكلات ما يلى : ـ

١ ـ كان دور مدرس التربية الفنية فى المراحل السـابقة واضحا تماما ومعروفة أبعاده ومن قبل أن يدخل الفصل للتدريس وحتى بعد ان يخرج منه · أما فى هذا الدور فانه لابد وأن يخوض العملية التقليدية مع تلميذه دون رؤيته لأبعادها القادمة أو المستقبلة ·

٢ ـ كانت المادة الدراسية نفسها هى النهاية أو الغاية من التعلم أى أن على الطفل استيعابها تماما على حين أنها أصبحت فى هذه المرحلة تعد ثانوية أى أن التلميذ أصبح هو النهاية والغاية ، فهو الهدف والهدف من تعليمه عن طريق الفن هو التعبير عن ذاته بحرية وطلاقة ·

٣ ـ الغيت الى حد ما ـ فى هـذه المرحلة فكرة الأسـاسيات

والثانويات فباتت اهمية الفن تظهر ليس فقط كشكل زخرفى وانما استندت على أسس فى علم النفس والتربية ترتكز على أن اهمية التعبير فى الفن تســـاعد على بناء الشخص وتكاملة الانفعالى والجمالى ومن هنا بدأت اهمية مواد أخرى فى الظهور مثل التربية الرياضية والموسيقية الى جانب التربية الفنية ٠

٤ ـ تتبع نمو التلميذ فنيا أى تتبع نموه فى التعبير فى الفن فقد كان فى المراحل السابقة يخضع هذا النمو لأفكار الكبار اى أن مقياس نمو الطفل فى الفن هو مقدار مشابهة رسومه لرسوم الكبار ٠ اما فى هذه المرحلة وبعد اكتشاف فن الطفل وما به من لازمات وهى المعروفة بلازمات الأطفال من شفافيه ومبالغة وحذف فى تفاصيل رسومهم أصبح تتبع نمو التلميذ من خلال هذه اللازمات معينـــا للمدرس أما ما عدا ذلك فقد أصبح لغزا محيرا له يصعب عليه تحديد مصدره ٠

٥ ـ مع تطور التربية الفنية وتحت شعار التعبير الحر أصبح على المدرس أن يعى ويفهم أطفاله من ناحية وأن يكون قادرا على قراءة رسومهم من ناحية أخرى وتتطلب قراءة رسوم الأطفال خبرة خاصة ٠

٦ ـ تعقدت أسس التقويم ومبادئه فى هذه المرحلة تماما اذ انه كان واضحا للمدرس فى المراحل السابقة وذلك من خلال مطابقة رسوم تلاميذه للأصل أو النموذج المقدم اليهم لينقلوه او يقلدوه اما فى هذه المرحلة فقد تعقدت الأمور حيث أن كل طفل يشكل فى حد ذاته نظاما فريدا فى التعبير وعلى هذا فتعميم التقويم على كل التلاميذ أصبح من الأمـــور المستحيله ولابد من ايجاد معيار موضوعى يقيس به المدرس نمو تلاميذه دون انحياز لاتجاه أو أسلوب معين ٠

٧ ـ تعدد مصـــادر الرؤية عند التلميذ وتنوعهـــا بعد أن اتيحت

الفرصة لكى يعبر عن ذاته تعبيرا حرا دون تدخل من مدرسه حيث اصبح الاحتمال كبيرا لتدخل ما فى البيئة وما تحتويه الثقافة من اشكال مرئية على رؤية التلميذ بعد أن انطلقت رؤيته متخطية حدود جدران الفصـــل والمدرسة ٠

حول مبدأ حرية التعبير :

أن مبدأ حرية التعبير انطلق بمفهوم جديد عن الفن من اتساع الرؤية الفنان وتنوع لتلك الرؤية ٠ وتحت شعار هذا المبدأ اصبح الأطفال يعبرون بحرية عن ذواتهم ترتب على هذا النظام أن تحولت العملية التعليمية فى المدارس الى فوضى فى نظر البعض وذلك لما خلفه هذا المبدأ من المشاكل التى ذكرناها سابقا ، من فقدان لدور المدرس فى الفصل ومن ضياع للتلميذ فى نظر بعض المربين حيث لم يعد هناك انتقال لأى معرفة من قبل المدرس الى التلميذ أى أنه لم يعد قادرا على أن يعلم التلميذ كيف يرسم حيوانا أو انسانا أو نباتا ، والحقيقة أن النقد الذى وجه لهذه المرحلة يمثل النظرة الاكاديمية التى ترتكز على ابلاغ وتوصيل المعرفة الانسانية بطرق مقننة تلك المعرفة التى يعتبرونها أساس الخبرة الانسانية ـ خبرة السابقين فى هذا الميدان التى لابد وأن تتناولها الأجيال القادمة أما عن مبدأ الحرية فى حد ذاته فهو من المبادىء السامية لما فيه من قيم ترتبط بانسانية الانسان من اطلاق لعنانه وافراج لما يكبته واتاحة له بما يضيفه من لمسات تساعد على ازدهار الحياة وتطورها ٠

ان المشكلة تكمن فى كيفية تحقيق هذا المبدأ ـ مبدأ الحرية فى التعبير وتطبيقه فى نظام التعليم الذى هو فى الاساس « نظام » System متأصل له جذوره الكلاسيكية من مدرسة ذات فناء وحجرات للدراســـة ومواعيد للحضور والانصراف ومن وجود ناظر للمدرسة ومدرسين للمواد المختلفة ، أى أن مبدأ الحرية يطبق داخل نظام تعليمى رســـمت حدوده

بالتفصيل وعلى هذا كان ولابد أن يفكر البعض فى ايجاد حل لهذه المشكلة التى حدث بالعملية التعليمية فى أن تصبح فوضى فى نظرهم فنادوا بايجاد ضوابط يضمنون فيها على الأقل امتلاك زمام العملية التعليمية وكان هذا الضابط بالطبع والبديهة يتجه الى نواحى تحيط بالطفل لا الطفل ذاته ، فحصول الطفل على حريته فى التعبير لا زاد لها ومن هنا أتت مرحلة أو شبه مرحلة يطلق عليها البعض « مرحلة التعبير الحر الموجه أو المقنن ٠

مرحلة التعبير الحر المقنن أو الموجه : ـ

ترى أن يقوم المدرس بعمل خطة مقننه أو أسلوب عمل يتفق عليـــه Scheme of Work وهذه الخطة تتناول عدة موضوعات تحقق هدفا فنيا معينا ٠ فالخطة فى نظرهم لها هدف فنى عام يتدرج تحت ذلك الهدف الفنى العام أهداف خاصة ٠ فاذا كان الهدف العام للخطة مثلا هو انماء الحسى اللونى عند التلاميذ يتدرج تحت هذا الهدف أهداف خاصة يرتبط كل منها بحصة زمنية يحقق خلالها جزءا من الهدف العام وهكذا فى كل حصة جرعة يتناولها التلاميذ وحتى يصل فى نهاية الخطة يكون بذلك قد أمكنه انماء حس التلاميذ لونيا ٠ فيبدأ المدرس مثلا باعطاء لون ودرجته فى حصة ثم لونين أو أكثر فى حصة أخرى وهكذا حتى تنتهى الخطة وهكذا شرع كل مدرس فى انشاء خطة للعمل مع تلاميذه يضمن من خلالها تنظيم العملية التعليمية ثانية بعد فقدان السيطرة عليها تحت شعار التعبير الحر٠ والحقيقة أن التعبير الحر الموجه أو المقنن كما يطلقون عليه قد أعاد العملية التعليمية لتصب فى قوالب كالتى كانت تحدث فى المراحل السابقة مع الفارق وهو الزعم بأن الطفل له حرية التعبير عن ذاته على حين أن كل ما يوصل الى تعبيره أصبح يمتلكه المدرس من اعداد للخطة بهدفيها العام والخاص كذلك اختبار الخامة التى سوف يستخدمها الأطفال فى تعبيرهم ، أى أن الحرية أصبحت تشمل التعبير فقط دون اعتبار لمدى توافق الخامة

مع ذلك التعبير · ولا نقول أن هناك اغفال لدى توافق الخامة مع مستوى الأطفال وقدراتهم على تناولها فهذا واضح وبسيط يستطيع كل مدرس أن يدركه فخامة كالحجر أو الرخام لا يقوى على العمل بها أطفال صغار مثلا ولكننا نشير هنا الى توافق الخامة مع نوعية التعبير الأمر الذى لا يستطيع ادراكه المدرس وانما يدركه تماما ويحس به الطفل لأنه هو المعبر ولا يتم تعبيره الا من خلال الخامة التى هى الأداة والوسيلة لتجسيد هذا التعبير ومن هنا فلا بد وأن تخضع لزمامه هو وليس لزمام مدرســـه ومن هنـا نستطيع أن نقول أنه قد نشأت مشكلة جديدة تحت هذا الدور الذى يطلق عليه الحرية الموجهـــة والمقننه تلك المشـــكلة هى وظيفة الخامة ونوعية التعبير ·